Adab Al-Rafidayn

https://ojs.uomosul.edu.iq/index.php/radab

Sustainable development among Arabs before Islam - Al-Ilaf - as a model

Dhaher Khadir Jadou'

Department of History / College of Education for Humanities,/ Samarra University /Samarra -Iraq

Article Information

Article History:
Received Oct 24, 2025
Revised Nov 23 ,2025
Accepted Nov 30, 2025
Available Online Feb. 1, 2026

Keywords:
Development,
Sustainable,
Ilaf,
Hashem,
Caravans.

Correspondence:
Dhaher Khadir Jadou'
thaher.ku@uosamarra.edu.iq

Abstract

The ilaf system, established by Hashim ibn Abd Manaf in pre-Islamic Quraysh society, is considered an early model embodying the principles of sustainable development in its modern sense. Although it was not known by this name at the time, ilaf contributed to establishing the foundations of economic and social stability through the conclusion of treaties and trade and security agreements between Quraysh, the Arab tribes, and the kings of neighboring regions such as the Levant, Yemen, and Iraq. This ensured the safety of trade caravans and secured their routes. This led to a flourishing commercial activity in Mecca, economic prosperity, and an improved standard of living—goals that intersect with the economic dimension of sustainable development.

Ilaf also contributed to strengthening security and social peace among tribes, creating an environment of cooperation and understanding and laying the foundations for societal stability, which is consistent with the social dimension of sustainable development. Through this system, Quraysh was able to achieve a balance between economic, security, and social interests, ensuring continued growth and prosperity without disrupting overall stability. This makes ilaf an early example of sustainable development in pre-Islamic Arab society.

DOI: 10.33899/radab.2024.150935.2184, ©Authors, 2023, College of Arts, University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

التنمية المستدامة عند العرب قبل الاسلام – الإيلاف – انموذجًا

ظاهر خضير جدوع *

مستخلص:

يُعدّ نظام الإيلاف الذي أرساه هاشم بن عبد مناف في مجتمع قريش قبل الإسلام من النماذج المبكرة التي تجسّد مبادئ التنمية المستدامة بمفهومها الحديث، وإن لم تُعرف آنذاك بهذه التسمية، فقد أسهم الإيلاف في إرساء دعائم الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي من خلال إبرام المعاهدات والاتفاقات التجارية والأمنية بين قريش والقبائل العربية وملوك المناطق المجاورة كالشام واليمن والعراق؛ الأمر الذي ضمن سلامة القوافل التجارية وأمَّن طرقها، وقد أدى ذلك إلى ازدهار النشاط التجاري في مكة، وتحقيق الرخاء الاقتصادي، وتحسين مستوى المعيشة، وهي أهداف تتقاطع مع البعد الاقتصادي للتنمية المستدامة.

* قسم التاريخ/ كلية التربية للعلوم الانسانية / جامعة سامراء / سامراء- العراق

كما أسهم الإيلاف في تعزيز الأمن والسلم الاجتماعي بين القبائل؛ مما أوجد بيئة من التعاون والتفاهم، وأرسى أسس الاستقرار المجتمعي، وهو ما ينسجم مع البعد الاجتماعي للتنمية المستدامة، ومن خلال هذه المنظومة، استطاعت قريش تحقيق نوع من التوازن بين المصالح الاقتصادية والأمنية والاجتماعية، بما يضمن استمرارية النمو والازدهار من دون إخلال بالاستقرار العام؛ الأمر الذي يجعل من الإيلاف صورة مبكرة للتنمية المستدامة في المجتمع العربي قبل الإسلام.

الكلمات المفتاحية :التنمية، المستدامة، الإيلاف، هاشم، القوافل.

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق والمرسلين وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد.

تُعد التنمية المستدامة من أبرز المفاهيم التي شغلت الفكر الإنساني المعاصر؛ لما لها من صلةٍ مباشرةٍ ببقاء الإنسان وازدهار المجتمعات؛ إذ تهدف إلى إحداث توازنٍ دقيقٍ بين متطلبات الحاضر واحتياجات المستقبل بالاستخدام الرشيد للموارد الطبيعية، وتحقيق العدالة الاجتماعية، وتكريس الأمن الاقتصادي والبيئي، بما يضمن استمرار الحياة الكريمة للأجيال القادمة .

لقد واجه العرب قبل الإسلام بيئةً قاسيةً تتسم بندرة المياه وقلّة الغطاء النباتي وبعد المسافات بين الحواضر، الأمر الذي فرض عليهم البحث عن وسائل تضمن بقاءهم واستمرار نشاطهم التجاري والمعيشي، ومن هنا ظهرت أنماط من التعاون بين القبائل، تجاوزت فكرة العصبية الضيقة إلى بناء منظومات من الأمن الاقتصادي والاجتماعي، ومن أبرز هذه النماذج نظام الإيلاف الذي أسسه هاشم بن عبد مناف لقريش، حين نظّم علاقات تجارية سلمية بين قريش وسائر القبائل العربية، ومع الممالك المجاورة في الشمال والجنوب، من أجل تأمين طرق التجارة وحماية القوافل وضمان تدفق السلع بين الشام واليمن.

وبقراءة الإيلاف في ضوء مفهوم التنمية المستدامة الحديث، يمكن القول إن العرب مارسوا بشكلٍ فطري صورًا من التنمية تقوم على مبادئ الاستقرار، والعدالة في تبادل المنافع، وحفظ الأمن، وتوزيع الموارد، وهي عناصر تشكل اليوم جوهر فلسفة التنمية المستدامة، فالإيلاف لم يكن مجرد معاهدة تجارية، بل كان منظومة متكاملة لتحقيق التوازن بين الإنسان وبيئته، وبين الفرد ومجتمعه، وبين مصلحة قريش ومصالح القبائل المجاورة، بما يحقق استدامة الحياة الاقتصادية والاجتماعية في شبه الجزيرة العربية.

اعتُمد المنهج التحليلي في ربط الايلاف بمصطلح التنمية المستدامة الحديث قسم البحث مقدمة ومبحثين الأول تطرقنا فيه لمعنى التنمية المستدامة وابعادها واهدافها، وجعلنا الثاني عن الإيلاف كنموذج للتنمية المستدامة وختم هذا البحث بأهم ما توصل اليه الباحث من نتائج.

المبحث الأول :

معنى التنمية المستدامة : إن التنمية بصورة عامة قد تعددت مفاهيمها وذلك بسبب تنوع استعمالها وكثرته في الآونة الأخيرة من قبل مختلف الدول سواء الصناعية منها أو النامية؛ لذلك يجد المهتمون بهذا الأمر انفسهم مام معانٍ كثيرةٍ لهذا المصطلح، وقد تطور هذا المصطلح كثيرًا وقد برز منه ما يعرف بالتنمية المستدامة.

والتنمية لغةً : مأخوذة من نمي والنماء يعني الزيادة نمى ينمي نميا ونماء يعني زاد وكثر[1] .

أما الاستدامة لغةً : فهي تعني التأني والاستمرار في طلب الشيء[2].

وقد تعددت تعاريف التنمية المستدامة نظرًا لاختلاف وجهات نظر المهتمين بها وسنذكر عدد من تلك التعريفات :

التنمية المستدامة : تعني توظيف الموارد من أجل رفع المستوى المعاشي للسكان الأكثر فقرًا[3] .

والتعريف الآخر يقول : إنَّ التنمية المستدامة بأنها تلك التنمية الحقيقية المتواصلة المستمرة التي يكون الهدف الاهم عندها الانسان فهو هدفها وغايتها الاسمى ، وهي تؤكد على ضرورة التوازن بين أبعاد البيئة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية؛ لكي يؤدي هذا التوازن

---

[1]() الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم (ت170هـ). العين. د.م : دار الهلال، د.ت. ج5،ص348؛ ابن فارس، ابو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء .(ت395هـ) . مجمل اللغة . (ط2) . بيروت : مؤسسة الرسالة، 1986م . ج1،ص885؛ ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي(ت711هـ) . لسان العرب . القاهرة : دار المعارف، د.ت . ج6، 4451.

[2]() ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل (2000م) .المحكم والمحيط الاعظم . بيروت : دار الكتب العلمية،2000م . ج9، ص444؛ ابن منظور، ج6، ص1457.

[3]() عبد الخالق، عبد الله . التنمية المستديمة والعلاقة بين البيئة والتنمية . بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية، 1998م . ص244.

الى تنمية الموارد الطبيعية بما يسهم في تنمية الموارد البشرية اعتمادًا على اساس عملي وفق خطط استراتيجية لتلبية متطلبات الحاضر والمستقبل على أساس من المشاركة المجتمعية مع الأخذ بنظر الاعتبار الإبقاء على الخصوصية الحضارية للمجتمعات[1].

فالتنمية المستدامة : هي محاولة لتحقيق أهداف اقتصادية واجتماعية بعمليات تغير محددة كما ونوعًا، ومن ثم فهي لا بدَّ أن تحقق تقدمًا وتحسنًا في مستويات معيشة السكان في مكان وزمان معينين[2].

وهناك من يقول إنَّ التنمية كي تكون مستدامة يجب أن تسعى إلى مقابلة حاجات الأجيال الحالية من دون الإخلال بحق الأجيال القادمة في إشباع حاجاتهم[3].

ومما تقدم يمكن القول إن الغاية الأساسية من التنمية المستدامة هي استعمال الموارد من أجل تحقيق إشباع للحاجات البشرية أولًا ثم إيصالهم إلى الرفاهية عن طريق توزيع عادل للموارد، وهي بهذا تكون قد حققت أهدافًا اجتماعية بأدوات اقتصادية؛ لأنَّ الاقتصاد والمجتمع مترابطان بشكل يصعب فصل أحدهما عن الآخر.

وللتنمية المستدامة أبعاد متعددة منها الاقتصادي ومنها الاجتماعي اللذان يتمحور موضوع بحثنا حولهما، فالبعد الاقتصادي للتنمية المستدامة، ويُعدّ الجانب الاقتصادي حجر الأساس في أي عملية تنموية؛ إذ يمثل الاقتصاد الركيزة التي تُبنى عليها بقية عناصر التنمية الأخرى. فالتنمية الاقتصادية لا تعني مجرد تحقيق النمو في الناتج المحلي أو زيادة معدلات الإنتاج فحسب، وإنما تتجاوز ذلك لتشمل رفع مستوى الرفاه الاجتماعي إلى أقصى حدٍّ ممكن بإدارة الموارد المتاحة واستغلالها بصورة رشيدة قائمة على الكفاءة والعقلانية، بما يضمن استمرارية الاستفادة منها للأجيال الحاضرة والمستقبلية، وفي هذا السياق، فإن القضاء على الفقر يُمثل أحد الأهداف الجوهرية للتنمية المستدامة، حيث يشير مفهوم تلبية الاحتياجات الأساسية إلى ضرورة إيلاء اهتمام خاص بالفئات الفقيرة والمحرومة، وجعلها في مقدمة الأولويات التنموية، فتمكين هذه الفئات وتوفير مقومات الحياة الكريمة لها لا يحقق العدالة الاجتماعية فحسب، بل يسهم أيضًا في تعزيز الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي للمجتمع ككل، ويُعدُّ خطوة أساسية نحو بناء تنمية مستدامة حقيقية قادرة على الاستمرار والتوسع عبر الزمن[4].

وأما البعد الاجتماعي للتنمية المستدامة يمثل أحد الأبعاد الأساسية التي لا يمكن إغفالها عند الحديث عن هذا المفهوم الشامل؛ إذ يركّز على طبيعة العلاقة القائمة بين الإنسان والطبيعة، وعلى الدور المحوري الذي تؤديه هذه العلاقة في صياغة حاضر المجتمعات ومستقبلها، فالتنمية المستدامة من هذا المنظور لا تنحصر في الجانب الاقتصادي فحسب، بل تسعى بالدرجة الأولى إلى النهوض برفاهية الإنسان وتحسين نوعية حياته بالارتقاء المستمر بسبل الحصول على الخدمات الأساسية، وتوفير الأمن الاجتماعي والاقتصادي، وضمان احترام حقوق الإنسان بأشكالها جميعها، وعليه فإن التنمية المستدامة على وفق هذا البعد لا تقتصر على توليد معدلات نموٍّ اقتصادي مرتفعة، بل تهتم أيضًا بآلية توزيع هذا النمو بحيث يتم توزيع عائداته بشكل عادل بين مختلف فئات المجتمع، بما يسهم في الحد من التفاوت الاجتماعي والاقتصادي. وهي في الوقت نفسه تسعى إلى تجديد البيئة الطبيعية والمحافظة على مواردها بدلًا من تدميرها واستنزافها، كما تعمل على تمكين الأفراد ومنحهم الفرص الكافية للمشاركة في مسيرة التنمية، بدلًا من تهميشهم أو إقصائهم، ومن هنا برزت أهمية مشاركة جميع أفراد المجتمع في عملية التنمية، الأمر الذي جعل هذا البعد يُوصَف غالبًا بأنه تنمية بشرية من أجل البشر وبوساطة البشر. فمفهوم تنمية البشر يعني في جوهره الاستثمار في الطاقات الإنسانية، سواء من خلال التعليم الذي يوسع مدارك الأفراد، ويزيد من خياراتهم، أو عبر تنمية المهارات العملية التي تتيح لهم فرص العمل المنتج والمستقر، أو من خلال تحسين مستويات الرعاية الصحية التي تضمن لهم حياة أطول وأكثر جودة، وأما مفهوم التنمية بواسطة البشر فيشير إلى ضرورة إشراك كل فرد في المجتمع في صياغة، وتنفيذ سياسات التنمية، مع ضمان أن يتم توزيع ثمار النمو توزيعًا واسع النطاق، بحيث يستفيد منها الناس جميعهم من دون تمييز؛ مما يجعل التنمية أكثر عدلًا وإنصافًا وشمولًا[5].

الأهداف العامة للتنمية المستدامة

1. إن التنمية المستدامة تهدف بصورة شاملة إلى توفير مقومات العيش الكريم للإنسان، وذلك بالتركيز على جوانب متعددة تجمع بين البعد الاقتصادي والبعد الاجتماعي؛ فهي تسعى إلى ضمان توافر الموارد المالية والاقتصادية الكافية لإشباع احتياجات

---

[1]() علي، ماهر ابو المعاطي . الاتجاهات الحديثة في التنمية الشاملة .الاسكندرية : المكتب الجامعي الحديث، 2012م.ص229-230.

[2]() غنيم، عثمان محمد ، ابو زنط، ماجدة . التنمية المستديمة فلسفتها وأساليب تخطيطها وأدوات قياسها . (ط2) . عمان : دار صفا للنشر والتوزيع . 2014م. ص24.

[3]() دعبس، يسرى . المحميات الاجتماعية والتنمية المتواصلة .الاسكندرية : البيطاش سنتر، 2005م . ص315؛ حبيب، جمال شحاته . الممارسة العامة منظور في حديث الخدمة الاجتماعية . الاسكندرية : المكتب الجامعي الحديث، 2009م . ص409.

[4]() الطاهر، قادري محمد .التنمية المستدامة في البلدان العربية بين النظرية والتطبيق .بيروت : مكتبة حسن العصرية . 2013م . ص78.

[5]() لمين، فتيح محمد ، بيلال، احمدوش .التنمية المستدامة: الابعاد الافاق والعلاقة بالطاقات المتجددة . الجزائر : جامعة لونيسي علي البليدة . مقال منشور على الرابط التالي : fetthh90@gmail.com. ص7.

الأفراد والمجتمعات، وتحقيق العدالة الاجتماعية بما يضمن المساواة، وتكافؤ الفرص بين الفئات جميعها إلى جانب توفير بيئة مناسبة قادرة على احتضان الإنسان وتمكينه من ممارسة دوره في البناء والإبداع.

2. وعند النظر في تفاصيل هذه الأهداف نجد أنها تتسم بالتنوع والشمولية؛ إذ تختلف الرؤى بين ما يطرحه الباحثون والمختصون من جانب، وما تقرره المنظمات الدولية من جانب آخر، وقد جاء تقرير الأمم المتحدة الأخير حول أهداف التنمية المستدامة ليكون الأكثر شمولًا واستيعابًا لمتطلبات المرحلة؛ إذ مثّل إطارًا جامعًا للأولويات الإنسانية والبيئية والاقتصادية.

3. وبعد القمة العالمية التي عقدتها الأمم المتحدة في سبتمبر عام 2015م، أُطلقت خطة التنمية المستدامة لعام 2030م، والتي تضم سبعة عشر هدفًا رئيسًا، وافقت عليها الدول الأعضاء جميعها بِعدِّها برنامج عمل مشترك للمجتمع الدولي، وقد جاءت هذه الأهداف متكاملة بحيث يغذي بعضها بعضًا، ويُسهم تحقيق أحدها في تقريب الوصول إلى الآخر، ويمكن تفصيلها على النحو الآتي[1]:

4. القضاء على الفقر: ويعني ذلك وضع حد نهائي لظاهرة الفقر المدقع وضمان حصول الأفراد جميعًا على مقومات الحياة الأساسية مثل الغذاء والمأوى والملبس، فصلًا عن توفير نظم حماية اجتماعية تقي الفئات الهشة من الانزلاق إلى دائرة الفقر.

5. القضاء التام على الجوع: ويشمل تحقيق الأمن الغذائي وتحسين مستوى التغذية وتطوير الزراعة المستدامة، وذلك عبر دعم صغار المزارعين، وتحسين طرائق الإنتاج الزراعي، وضمان التوزيع العادل للغذاء.

6. الصحة الجيدة والرفاه: يركز هذا الهدف على ضمان حياة صحية للجميع في الأعمار جميعها بتحسين أنظمة الرعاية الصحية، والحد من الوفيات الناتجة عن الأمراض المعدية وغير المعدية، وضمان التغطية الصحية الشاملة.

7. التعليم الجيد: ويعني توفير فرص تعليم متكافئة وشاملة للأفراد جميعهم، وضمان الجودة في العملية التعليمية، مع التركيز على المهارات التي تؤهل الأجيال القادمة للمشاركة الفاعلة في التنمية.

8. المساواة بين الجنسين: يهدف إلى تمكين المرأة والقضاء على أشكال التمييز جميعها والعنف ضدها، وضمان مشاركتها الكاملة في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية على قدم المساواة مع الرجل.

9. المياه النظيفة والنظافة الصحية: يتمثل في ضمان حصول الجميع على مياه صالحة للشرب، وخدمات صرف صحي ملائمة، وهو ما يعد من الحقوق الأساسية للإنسان ومن ضرورات الصحة العامة.

10. الطاقة النظيفة وبأسعار معقولة: يدعو هذا الهدف إلى توسيع نطاق استخدام مصادر الطاقة المتجددة، وضمان إتاحتها بأسعار مناسبة للجميع، والحد من الاعتماد على مصادر الطاقة الملوِّثة.

11. العمل اللائق والنمو الاقتصادي: يتجسد هذا الهدف في تعزيز النمو الاقتصادي المستدام والشامل، وإيجاد فرص عمل لائقة تحترم حقوق العاملين وتضمن لهم حياة كريمة.

12. الصناعة والابتكار والهياكل الأساسية: يركز على تطوير البنية التحتية المستدامة، وتعزيز التصنيع المبتكر، وتشجيع البحث العلمي والتكنولوجي بما يعزز القدرة التنافسية للاقتصادات الوطنية.

13. الحد من أوجه عدم المساواة: يتمثل في تقليص الفجوات الاقتصادية والاجتماعية داخل الدول وبينها عبر سياسات تضمن العدالة وتكافؤ الفرص.

14. مدن ومجتمعات محلية مستدامة: يهدف إلى بناء مدن آمنة ومرنة وقادرة على التكيف مع التغيرات البيئية والديموغرافية، مع تحسين أنظمة النقل والسكن والخدمات العامة.

15. الاستهلاك والإنتاج المسؤولان: يركز هذا الهدف على أنماط الاستهلاك والإنتاج التي تراعي استدامة الموارد الطبيعية، وتقلل من نسب التلوث والنفايات.

16. العمل المناخي: يتمثل في مواجهة التغيرات المناخية والحدِّ من آثارها عبر اعتماد سياسات بيئية رشيدة، وتشجيع استخدام الطاقة النظيفة، والتقليل من انبعاثات الغازات الدفيئة.

[1] () (https://ar.wikipedia.org/wiki).

17. الحياة تحت الماء: يركز على الحفاظ على المحيطات والبحار والموارد البحرية، ومنع تدهور النظم البيئية البحرية بسبب التلوث أو الاستغلال الجائر.
18. الحياة في البر: يتضمن حماية النظم الإيكولوجية البرية، ومكافحة التصحر، ووقف فقدان التنوع البيولوجي، بما يحافظ على التوازن البيئي.
19. السلام والعدل والمؤسسات القوية: يهدف إلى بناء مجتمعات عادلة تسودها الشفافية، مع تعزيز سيادة القانون، ومكافحة الفساد، وضمان حقوق الإنسان.
20. عقد الشراكات لتحقيق الأهداف: وهو الهدف الجامع الذي يشدد على أهمية التعاون الدولي بين الحكومات، والمنظمات والشعوب والقطاع الخاص، لتعبئة الموارد وتبادل الخبرات من أجل تحقيق باقي الأهداف..

المبحث الثاني : الإيلاف كأنموذج للتنمية المستدامة :

لقد عانى العرب في فترات مختلفة قبل الإسلام، من شدة الفقر وقلة الأقوات، إذ كانت البيئة الصحراوية القاسية والمناخ شديد التقلب سببًا في ندرة الموارد الغذائية، وفي ظل تلك الظروف، ظهرت ممارسات اجتماعية تعكس اعتداد العربي بكرامته؛ إذ كان يعدها أثمن من حياته نفسها ومن أبرز هذه الممارسات ما عُرف بـ الاعتفار أو الاعتفاد[1].

وقد روى المؤرخون أن رجلًا التقى جارية تبكي، فسألها عن سبب بكائها، فقالت: "نريد أن نعتفد"[2]، أي أنهم قرروا الانعزال حتى الموت جوعًا بدلًا من مد اليد إلى الآخرين.

هذا السلوك، وإن كان يعكس تمسك العربي بعزة النفس، إلَّا أنه يحمل في الوقت ذاته خطرًا عظيمًا على حياة الأفراد وبقاء الجماعة؛ إذ يؤدي إلى فناء الأسر وتناقص عددهم، الأمر الذي يُضعف القبيلة أمام القبائل الأخرى، ومن هنا برز دور العقلاء والحكماء في المجتمع القرشي خاصة، الذين أدركوا خطورة هذه الظاهرة وما يمكن أن تسببه من انحلال داخلي، وانكسار اجتماعي فكان لا بدَّ من تحقيق تنمية مستدامة تحافظ على الأفراد من الهلاك.

وقد كان لعمرو بن عبد مناف (هاشم)[3]، دور بارز في مواجهة هذه الظاهرة؛ فقد جاءته الحادثة عندما عاد ابنه أسد باكيًا بعدما أخبره صديقه "تُربة" أن أسرته تعتزم الاعتفاد، تأثر هاشم بشدة لهذا الخبر، ورأى أن استمرار مثل هذا السلوك سيؤدي إلى اندثار قريش وضياع مكانتها بين العرب، فقام خطيبًا في قومه، محذرًا من مغبة الاستمرار في هذه العادة قائلًا: "إن ما أحدثتموه سيجعلكم تقلّون وتكثر العرب، وتذلّون وتعزّ العرب، وأنتم أهل حرم الله عز وجل، وأشرف ولد آدم، والناس تتبعكم، ويكاد هذا الأمر أن يأتي عليكم"[4].

لقد عبّرت كلمات هاشم عن وعي اجتماعي متقدم بأهمية تحقيق تنمية مستدامة كشرط لاستمرار الحياة، وكنظام ضامن لاستقرار المجتمع، وقد ذكرنا سابقًا ان اهم اهداف التنمية المستدامة هي الحفاظ على البشر وتحقيق الرفاهية لهم وتحقيق أهداف اجتماعية بوسائل اقتصادية، وهو فعلًا ما دعا إليه هاشم، فاستجاب له قومه وأعلنوا تبعيتهم لرأيه.

فكان أول إجراء عملي أن منعوا أسرة تُربة من الاعتفاد، ثم بادر هاشم إلى تنظيم آليات للتنمية، فذبح الذبائح ونحر الإبل، ثم أسس نظام الإيلاف[5]الرحلتين التجاريتين : رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام، وتذكر المصادر أن أول من سنَّ رحلة الشتاء والصيف هو هاشم بن عبد مناف ويستدلون في ذلك على بيت شعر قيل فيه :

عمرو الذي هَشَمَ الثَّريدَ لِقَوْمِهِ وَرِجَالُ مَكَّةَ مُسْنِتُونَ عِجَافُ

---

(1) **وهو أن يغلق الرجل بابه على نفسه فلا يسأل أحدًا حتى يموت جوعا** وكان ذلك ايام الجدب . ابن منظور . لسان العرب . ج4، ص3008.

(2) الازهري، ابو منصور محمد بن أحمد (ت370هـ) . تهذيب اللغة . بيروت: دار احياء التراث العربي، د.ت ج2، ص133؛ الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد . (ت538هـ) . اساس البلاغة . بيروت : دار الكتب العلمية، 1998م. ج1، ص665؛ الفيروز آبادي، ابو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب . (ت817هـ) . القاموس المحيط . (ط8) . بيروت : مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، 2005م . ص300.

[3]() عمرو بن عبد مناف وهو هاشم وأمه عاتكة بنت مرة بْن هلال بْن فالج بْن ذكوان، وإنما سمي هاشما، لأنه هشم لهم الخبز بعد ان أصابت قريشا سنة ذهبت بأموالهم وأُقحطوا فيها، وبلغ هاشمًا ذلك وهو بالشام، وكان متجره بغزة وناحيتها فأمر بالكعك والخبز، فاستكثر منهما ثُم حملا في الغرائر علَى الإبل، حتى وافى مكةَ، فأمر بهَشم ذلك الخبز والكعك، ونحرت الإبل الَّتي حملت، فأُشبع أهل مكةَّ وقد كانوا جهدوا. البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود . (ت279هـ) . انساب الاشراف . بيروت : دار الفكر، 1996م .ج1، ص58.

[4]() القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت671هـ). الجامع لأحكام القرآن . الرياض : دار عالم الكتب، 2003م . ج20 .ص205.

[5]() الإيلاف : هو الحبل أي العهد الذي أخذه هاشم بن عبد مناف من قيصر وأشراف أحياء العرب لقومه بألا يتعرض لهم في مجتازاتهم ومسالكهم في رحلتهم، وهو مصدر من ألفة بمعنى ألفة لأن في العهد ألفة واجتماع كلمة ويقال له أيضا إلف وإلاف . الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد . (ت538هـ) . الفائق في غريب الحديث والأثر. لبنان : دار المعرفة، د.ت . ج1، ص53.

سُنَّتْ إِلَيْهِ الرِّحْلَتَانِ كِلَاهُمَا سَفَرُ الشِّتَاءِ وَرِحْلَةُ الْأَصْيَافِ[1]

وكان رأيه أن يمزج فقراءهم بأغنيائهم؛ فيجعل لكل غني منهم فقيرًا يضمه إليه فيكفله ويعيله كما يعيل أهل بيته، فإذا جاء وقت الرحلتين – رحلة الشتاء ورحلة الصيف – خرج الغني ومعه ذلك الفقير وعياله فما فضل من مال الغني قُسِم مع الفقير؛ فيعيش الفقير وعياله في ظل الغني ورعايته وبهذا نقطع دابر الأحقاد، ونضمن وحدة الصف." فقالوا جميعًا: "نِعْمَ ما رأيت، ونِعْمَ ما أشرت". وهكذا تمكن هاشم بحكمته من أن يؤلف بين الناس، ويقضي على تلك العادة القاسية التي أورثتهم الهلاك[2].

والإيلاف يُعَدّ الصورة العملية لدعوة هاشم في نصرة الفقراء والمحتاجين، إذ إن قريشًا بعد أن استجابت لدعوته، أخذت تُخرج جزءًا من أموالها يُخصَّص لمساعدة المعوزين، وبهذا استطاع هاشم أن يحوّل فكرته إلى واقع ملموس، فأصبح فعله سُنّةً سار عليها من جاء بعده، فانتعش حال الضعفاء، وتحسنت أوضاع فقراء مكة[3] .

ولعلَّه أراد بهذا العمل أن يقوي العلاقة بين أبناء المجتمع ويحافظ على الجيل الناشئ، وكذلك أن يجعل الموارد في متناول الجميع، وجعل الجميع شركاء في صناعة مستقبل زاهر للمجتمع المكي، وهي كلها إذا ما نظرنا إليها وتأملنا بها نلحظ أهداف التنمية المستدامة.

ولما بعث الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ، ونزل عليه القرآن، ذكّر الله قريشًا بهذه النعمة التي أنعم بها عليهم من التآلف والتراحم، فقال :لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ[4]، أي لتآلفهم وتراحمهم وتعاونهم على الرغم من بقائهم في ذلك الحين على الشرك، فكانت هذه الآية تذكيرًا لهم بأن ما وُجد من وحدة بينهم إنما هو من فضل الله، وهو الذي صانهم وحماهم كما صانهم من أصحاب الفيل [5].

وقد وصف الشعراء هذا الخلق الكريم بأبيات صارت مثلًا يحتذى، فقال شاعرهم [6]

وَالْخَالِطُونَ فَقِيرَهُمْ بِغَنِيِّهِمْ حَتَّى يَصِيرَ فَقِيرُهُمْ كَالْكَافِي

لقد كان هاشم بن عبد مناف صاحب الدور البارز في إرساء نظام الإيلاف الذي عُدّ من أهم الأسس التي قامت عليها النهضة التجارية لقريش فبعد أن حصل على عهود مكتوبة من زعماء القبائل الواقعة على طريق الشام، تمكّن من أن يضمن لقوافل قريش الأمن والمرور الآمن دون الحاجة إلى أحلاف سياسية أو قبلية ملزمة، وإنما من خلال اتفاقات تقوم على تبادل المصالح.

تمثلت صورة هذا الاتفاق في أن تتكفل قريش بحمل بضائع تلك القبائل إلى الشام وإرجاع رأس المال مع الأرباح إليهم، وهو ما وفر لتلك القبائل منفعة اقتصادية من دون تكبد عناء السفر أو مخاطرة وفي المقابل، وفرت القبائل الأمن والحماية لقوافل قريش داخل أراضيها

وقد واصل هاشم بنفسه الإشراف على هذه الاتفاقات، فكان يرافق القوافل التجارية، ويؤدي ما التزم به من عهود، الأمر الذي أكسب قريش مكانة مرموقة بين القبائل العربية، ومهّد الطريق لازدهار تجارتها واتساع نطاقها، حتى عُرفت قريش بكونها أهل تجارة وأمان، وهو ما انعكس لاحقًا في ثبات نظام "رحلتي الشتاء والصيف" الذي ورد ذكره في القرآن الكريم[7] .

ولولا تلك العقود التي عقدتها قريش مع زعماء القبائل المحيطة بمكة والممتدة على طرق القوافل التجارية، والتي كان الهدف منها إرضاء هؤلاء السادة وتهدئة نفوسهم، سواء أكانت بمنحهم حقوق مرور خاصة، أم بإشراكهم بنصيب في أرباح التجارة، لما استطاعت قريش أن تؤمن طرقها التجارية أو تضمن سلامة قوافلها، فقد كان نظام هذه العقود يقوم على أن يحمل التجار المكيون معهم سلعًا تابعة لهؤلاء الزعماء أو لرؤساء القبائل، فيبيعونها بالأسواق الخارجية نيابة عنهم، ثم يعيدون إليهم أثمانها مع الأرباح وفق سعر البيع المتعارف عليه والمقدر مسبقًا، وبهذا التدبير الحكيم تمكنت قريش من كسب ولاء القبائل وتأليف قلوبها، الأمر الذي جعل تلك القبائل تمتنع عن الاعتداء أو التحرش بالقوافل المكية، بل وأصبحت بمثابة حامية لها وضامنة لمرورها بسلام عبر الفيافي إلى الأسواق البعيدة[8]. ولولا هذا التنظيم الدقيق الذي جمع بين المصالح التجارية والتحالفات الاجتماعية، لما كان في مقدور قريش أن تبسط نفوذها التجاري، أو أن تفرض هيبتها، أو أن تسير قوافلها بين الشام واليمن في أمن وأمان، واذا نظرنا إلى ما قامت به قريش من رحلات تجارية نرى أنها حققت هدفًا مهمًا للتنمية المستدامة ألا وهو استخدام الاقتصاد في تحقيق أهداف اجتماعية.

---

[1]() ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب (ت 213هـ) . السيرة النبوية . (ط2) . القاهرة : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، 1955م . ج1 . ص136؛ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير (ت310هـ) . تاريخ الامم والملوك . بيروت : دار الكتب العلمية، 1407هـ .ج1. ص504؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر(ت 774هـ) . البداية والنهاية . بيروت : دار احياء التراث العربي، 1408هـ . ج2 . ص311.

[2]() ابن الجوزي، ابو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت597هـ) . المنتظم في تاريخ الامم والملوك . بيروت : دار الكتب العلمية، 1992م . ج2 . ص211.

[3]() علي، جواد . (1408هـ) . المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام . (ط4) . د.م : دار الساقي، 2001م .ج 6. ص345.

[4]() سورة قريش، الاية : 1.

(3) ابن الجوزي . المنتظم . ج2 . ص211؛ القرطبي . الجامع لأحكام القرآن. ج20 . ص204-205.

[6]() الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين .(ت606هـ). مفاتيح الغيب. (ط3) .بيروت : دار إحياء التراث العربي، 1420هـ . ج32 . ص297.

[7]() ابن حبيب، ابو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو. (د.ت) . المنمق في اخبار قريش . بيروت : عالم الكتب، 1985م . ص42-43.

[8]() علي، المفصل، ج13 . ص301.

ولتحقيق الغاية التي قامت الإيلاف من أجلها كان لا بدَّ من الاتجاه إلى ما هو أبعد من تأمين طرق القوافل، ألا وهو تسهيل دخول تلك القوافل إلى الدول التي تقصدها وهو ما قام به زعماء قريش فهاشم فإنه أخذ حبلًا من ملك الروم، وأما عبد شمس فإنه أخذ حبلًا من النجاشي، وأما المطلب، فإنه أخذ حبلًا من أقيال حمير، وأما نوفل، فإنه أخذ حبلًا من كسرى[1].

ويبدو أن ما أخذه هاشم وإخوته من اتفاقيات تجارية ليس مع الملوك انفسهم ولكن من الذين يمثلون الملوك في تلك المناطق، فلا شك أن لكل منطقة قوانين تجارية لا بدَّ من الخضوع إليها وقد وافق هاشم وإخوته على تلك القوانين فأصبحوا يتاجرون هناك.

وقد ترتب على ذلك نتائج اجتماعية بالغة الأهمية؛ إذ تحوّل المجتمع القرشي إلى أنموذج في التنمية، حتى قل عندهم الفقراء، وصار هناك نوع من التساوي بين الناس في العيش الكريم؛ الأمر الذي عزز وحدة الصف القرشي وقوّى مكانتهم بين القبائل، واستمر هذا التقليد حتى جاء الإسلام فوجده قائمًا، فزاده توثيقًا وتقعيدًا شرعيًّا بالزكاة والصدقات والإنفاق في سبيل الله، أصبحت قريش لهذا السبب من أعز العرب وأكثرهم مالًا ونفوذًا؛ فانعكس ذلك في أشعارهم التي مجّدت قيمة التنمية.

وقد أشار الشاعر عبيد بن الأبرص[2] إلى هذا التلاحم بين العرب قبل الاسلام بقوله :

والخالِطوا مُعْسِرًا منهمْ بمُوسِرِهِمْ وأكرمُ الناسِ مَطْروقًا إذا اختُبطوا[3]

ومدح حسان بن ثابت[4]ﷺ من أراد تقليل الفوارق بين الناس قائلًا :

والخالِطُونَ فَقِيرَهمْ بِغنيّهِمْ والمُنْعِمُونَ على الضّعيفِ المُرْمِلِ[5]

وافتخرت النساء بذلك أيضًا، ومنهن الخرنق[6] التي أشادت بدور قومها في هذا الجانب فقالت[7]:

والخَالِطُونَ نَحِيتَهُم بِنُظارِهِمْ وذَوِي الغِنى مِنْهُم بذي الفَقرِ

إن هذه الشواهد الشعرية تؤكد أن التنمية التي أوجدها العرب لم تكن مجرد سلوك عابر، بل كان ظاهرة أصيلة في بنية المجتمع العربي قبل الإسلام، تُمارس على مستوى الفرد والقبيلة معًا، فقد كان الأفراد يشاركون أقاربهم وأصدقاءهم في مواجهة ضيق العيش، وكانت القبائل تنظّم مواردها بما يكفل بقاء جميع أفرادها، وهذه القيم الاجتماعية الرفيعة هي التي هيأت المجتمع العربي؛ لتقبّل التشريعات الإسلامية لاحقًا، والتي نظّمت التكافل وجعلته فريضة دينية وركنًا من أركان الحياة الإسلامية.

النتائج واهم ما توصل اليه البحث :

ان اهم الأهداف التي تسعى التنمية المستدامة لتحقيقها الحفاظ على الجنس البشري من الهلاك.

ان التنمية المستدامة تمكنت من استخدام الاقتصاد في تحقيق أهداف اجتماعية.

حاول العرب قبل الإسلام تطبيق التنمية المستدامة، وان كانت لا تسمى بهذا الاسم إلَّا إن جميع ما حققوه تظهر فيه أهداف التنمية المستدامة.

كان ما حققه العرب قبل الإسلام في مجال التنمية مهيئ لهم لتطبيق هذه التنمية بعد مجيء الإسلام.

References:

1- Ibn Al-Abrash, Ubaid (1957). Diwan of Ubaid ibn Al-Abrash. Al-Babi Al-Halabi Press. (Cairo).

2- Al-Azhari, Abu Mansur Muhammad ibn Ahmad (n.d.). Tahdhib Al-Lugha (Refinement of the Language). Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi (Beirut).

[1]() ابن حبيب، ابو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو(ت245هـ) . المحبر . بيروت : دار الآفاق الجديدة . د.ت . ص163 ؛ علي . المفصل . ج13 . ص303.

(2) عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم الأسدي، من شعراء الجاهلية كان من دهاة الجاهلية وفصحائها من شعراء الطبقة الرابعة . الاصبهاني، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم (ت 356هـ). الاغاني . ط2 . بيروت : دار الفكر، د.ت . ج22 . ص85.

[3]() ابن الابرص، عبيد . ديوان عبيد بن الابرص . القاهرة . مطبعة البابي الحلبي، 1957م . ص86.

(2) حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام الأنصاري، شاعر رسول الله ﷺ، دعا له النبي الكريم ﷺ : " اللهم أيده بروح القدس "، له شعر فائق في الفصاحة، وهو من الشعراء المخضرمين . الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت 748هـ). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام . د.م . دار الغرب الاسلامي، 2003م . ج2 . ص484.

[5]() ابن ثابت، حسان . ديوان حسان بن ثابت .(ط2) . بيروت : دار الكتب العلمية، 1994م . ص184.

([6])الخرنق بنت بدر بن هفان من بني سعد بن ضبيعة رهط الاعشى(574م)، من شاعرات العرب وكانت أخت طرفة بن العبد من امه وقيل هي عمته . البغدادي، عبد القادر بن عمر (ت 1093هـ).خزانة الادب ولب لباب لسان العرب . ط4، القاهرة : مكتبة الخانجي، 1418 هـ . ج5 . ص55.

[7]() بنت هفان، الخرنق . ديوان الخرنق بنت هفان . (ط2) . القاهرة : مطبعة دار الكتب المصرية، 1996م . ص30.

3- Al-Baladhuri, Ahmad ibn Yahya ibn Jabir ibn Dawud (1996). Ansab Al-Ashraf (Genealogies of the Nobles). Dar Al-Fikr (Beirut).

4- Ibn Thabit, Hassan (1994). Diwan of Hassan ibn Thabit (2nd ed.). Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah (Beirut).

5- Ibn Al-Jawzi, Abu Al-Faraj Jamal Al-Din Abd Al-Rahman ibn Ali ibn Muhammad (1992). Al-Muntazam fi Tarikh Al-Umam wa Al-Muluk (The Official History of Nations and Kings). Dar Al-Kotob Al-Ilmiyyah (Beirut).

6- Ibn Habib, Abu Ja'far Muhammad ibn Habib ibn Umayya ibn Amr. (n.d.). Al-Muhbir. Dar Al-Afaq Al-Jadida. (Beirut).

7- Ibn Habib, Abu Ja'far Muhammad ibn Habib ibn Umayya ibn Amr. (n.d.). Al-Munmaq fi Akhbar Quraysh. Alam Al-Kutub. (Beirut).

8- Habib, Gamal Shehata (2009). General Practice: A Perspective in Modern Social Service. Modern University Office. (Alexandria).

9- Ibn Hisham, Abd al-Malik ibn Hisham ibn Ayyub (d. 213 AH). The Biography of the Prophet (2nd ed.). Cairo: Mustafa al-Babi al-Halabi & Sons Library and Printing Company, Egypt, 1955 CE.

10- Da'bas, Yusra. (2005). Social Reserves and Continuous Development. Al-Bitash Center. (Alexandria).

11- Al-Razi, Abu Abdullah Muhammad ibn Umar ibn Al-Hasan ibn Al-Hussein. (1420 AH). Keys to the Unseen. (3rd ed.). Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi. (Beirut).

12- Al-Zamakhshari, Abu al-Qasim Mahmud ibn Amr ibn Ahmad (1998). The Foundation of Rhetoric. Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, (Beirut).

13- Al-Zamakhshari, Abu al-Qasim Mahmud ibn Amr ibn Ahmad (n.d.). Al-Fa'iq fi Gharib al-Hadith wa al-Athar. Dar al-Ma'rifah (Lebanon).

14- Ibn Sidah, Abu al-Hasan Ali ibn Ismail (2000). Al-Muhkam wa al-Muhit al-A'zam. Dar al-Kutub al-Ilmiyyah (Beirut).

15- Al-Tahir, Qadri Muhammad (2013). Sustainable Development in Arab Countries: Between Theory and Practice. Hassan al-Asriya Library, (Beirut).

16-Al-Tabari, Muhammad ibn Jarir ibn Yazid ibn Kathir (d. 310 AH). History of Nations and Kings. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1407 AH.

17- Abdul Khaliq, Abdullah (1998). Sustainable Development and the Relationship between Environment and Development. Center for Arab Unity Studies, Arab Future Books Series. (Beirut).

18- Ali, Jawad (2001). Al-Mufassal fi Tarikh al-Arab Qabl al-Islam (4th ed.). Dar al-Saqi. (n.d.)

19- Ali, Maher Abu al-Maati (2012). Modern Trends in Comprehensive Development. Modern University Office (Alexandria).

20- Ghanem, Othman Muhammad, Abu Zant, Magda (2014). Sustainable Development: Its Philosophy, Planning Methods, and Measurement Tools. (2nd ed. Safa Publishing and Distribution House. (Amman).

21- Ibn Faris, Abu al-Husayn Ahmad ibn Faris ibn Zakariya (1986). Mujmal al-Lughah (2nd ed.). Al-Risala Foundation. (Beirut).

22- Al-Farahidi, Abu Abd al-Rahman al-Khalil ibn Ahmad ibn Amr ibn Tamim (n.d.). Al-Ain. Dar al-Hilal. (n.d.).

23- Al-Fayruzabadi, Abu Tahir Majd al-Din Muhammad ibn Yaqub (2005). Al-Qamus al-Muhit (8th ed.). Al-Risala Foundation for Printing, Publishing and Distribution. (Beirut).

24-Ibn Hisham, Abd al-Malik ibn Hisham ibn Ayyub (d. 213 AH). The Biography of the Prophet (2nd ed.). Cairo: Mustafa al-Babi al-Halabi & Sons Library and Printing Company, Egypt, 1955 CE.

25-Ibn Kathir, Abu al-Fida Ismail ibn Umar (d. 774 AH). The Beginning and the End. Beirut: Dar Ihya al-Turath al-Arabi, 1408 AH.

26- Al-Qurtubi, Abu Abdullah Muhammad ibn Ahmad ibn Abi Bakr (2003). Al-Jami` li Ahkam al-Quran (The Compendium of the Rulings of the Qur'an). Dar Alam al-Kutub (Riyadh).

27- Lamin, Fatih Muhammad, Bilal, Ahmadoush. Sustainable Development: Dimensions, Prospects and the Relationship to Renewable Energy. Algeria, University of Lounici Ali, Blida, Article Published at the following link: fetthh90@gmail.com.

28- Ibn Manzur, Abu al-Fadl Jamal al-Din Muhammad ibn Makram ibn Ali. (n.d.). Lisan al-Arab. Dar al-Maaref (Cairo).

29- Bint Hafan, al-Kharnaq. (1996). Diwan al-Kharnaq bint Hafan. (2nd ed.). Dar al-Kutub al-Masriya Press (Cairo).